

لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون * قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون * فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴿ .. [الأعراف : ٢٧ - ٣٠]

إنه النداء الثاني لبني آدم في وقفة التعقيب على قصة أبويهم ، وما جرى لهما مع الشيطان ، وعلى مشهد العرى الذي أوقفهما فيه عدوهما ، بسبب نسيانها أمر ربهما! والاستماع إلى وسوسة عدوهما .

وهذا النداء يصبح مفهوماً بما قدمناه من الحديث عن تقاليد الجاهلية العربية في حكاية العرى عند الطواف بالبيت ، وزعمهم أن ما وجدوا عليه آباءهم هو من أمر الله وشرعه ! لقد كان النداء الأول تذكيراً لبني آدم بذلك المشهد الذي عاناه أبواهم ، وبنعمة الله في إنزال اللباس الذي يستر العورة والرياش الذي يتجمل به ..

أما هذا النداء الثاني فهو التحذير لبني آدم عامة وللمشركين الذين يواجههم الإسلام في الطليعة ، أن يستسلموا للشيطان ، فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد ، فيسلمهم إلى الفتنة - كما فعل مع أبويهم من قبل إذ أخرجهما من الجنة ونزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما - فالعرى والتكشف الذي يزاولونه - والذي هو طابع كل جاهلية قديماً وحديثاً - هو عمل من أعمال الفتنة الشيطانية ، وتنفيذ لخطة عدوهم العنيدة في إغواء آدم وبنيه ، وهو طرف من المعركة التي لا تهدأ بين الإنسان وعدوه ، فلا يدع بنو آدم لعدوهم أن يفتنهم ، وأن ينتصر في هذه المعركة ، وأن يملأ منهم جهنم في نهاية المطاف ! ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما ﴾ ..

وزيادة في التحذير ، واستشارة للحذر ، ينبعثهم ربهم أن الشيطان يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونهم . وإذن فهو أقدر على فتنهم بوسائله الخفية ، وهم محتاجون إلى شدة الاحتياط ، وإلى مضاعفة اليقظة ، وإلى دوام الحذر ، كي لا يأخذهم على غرة :